



تنشر البحوث بثلاث لغات:
العربية، والإنكليزية، والفرنسية

تصدر عن العتبة العباسية المقدسة
دار الرسائل ————— ول الأعظم

السنة السادسة.. المجلد السادس.. العدد الحادي عشر
للسنة ٢٠٢٦م ١٤٤٨هـ





نبينا : مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالسيرة النبوية وأدبياتها : تنشر البحوث بثلاث لغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، 2021-

مجلد : 24 سم

نصف سنوية، السنة السادسة، المجلد السادس، العدد الثاني عشر (2026)

تتضمن إرذاعات بيلوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISSN : 2789-4290

1. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة- 11 هجري-دوريات، 2. السيرة

النبوية-دوريات، 3. العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (كربلاء، العراق)، جهة الاصدار. ب. العنوان.

LCC: BP75.2 .N335 2026 VOL. 6 NO. 11

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر



ردمد: ٤٢٩٠-٢٧٨٩

ردمد الالكتروني: ٤٣٠٤ - ٢٧٨٩

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية في بغداد (٥٧٦) لسنة (٢٠٢٢م)

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

كربلاء المقدسة / جمهورية العراق

Tel: +964 760 235 5555

http://daralrasul.com

Email: daralrasul@alameedcenter.iq



مركز الدراسات الإسلامية والعربية



مركز الدراسات الإسلامية والعربية



مركز الدراسات الإسلامية والعربية



الانبياء (١٠٧)

رئيس التحرير
أ.د. عادل نذير بيرى
جامعة كربلاء

مدير التحرير
أ.د. شعلان عبد علي اليساري
جامعة بابل

التدقيق اللغوي
تدقيق النص العربي
أ.م.د. أحمد حسن منصور الغانمي
جامعة كربلاء

الترجمة الى اللغة الانكليزية:
مركز الكفيل للترجمة

الترجمة الى اللغة الفرنسية:
جعفر صادق عباس الكنبر
جامعة بغداد

هيئة التحرير

- أ.د. أحلام عبدالله الحسن
جامعة البحرين/ استشاري إدارة أعمال وإدارة موارد بشرية
العراق
- أ.د. جواد النصر الله
جامعة البصرة/كلية الاداب/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. حسين داخل البهادلي
الجامعة العراقية/كلية الاداب/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. حسين علي الشرهاني
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. خالد محرم
جامعة بيروت الاسلامية / كلية الشريعة / قسم التربية الاسلامية
العراق
- أ.د. داود سلمان الزبيدي
جامعة بغداد/كلية ابن رشد للعلوم الانسانية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
لبنان
- أ.د. دلال عباس
الجامعة اللبنانية / الادب المقارن
العراق
- أ.د. سامي حمود الحاج جاسم
الجامعة المستنصرية/كلية التربية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري
جامعة البصرة/ كلية الاداب/ قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. علي حسن الدلفي
جامعة واسط/كلية التربية/قسم اللغة العربية/اللغة
العراق
- أ.د. فلاح حسن الاسدي
الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب/ قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي
العراق
- أ.د. ليث قابل الوائلي
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم اللغة العربية/اللغة
العراق
- أ.د. مهران اسماعيلي
جامعة الاهليات والاديان / كلية العقيدة والاديان / قسم الحضارة الاسلامية
الجزائر
- أ.د. نور الدين ابو لحة
جامعة باتنة/ كلية العلوم الاسلامية/ قسم اصول الدين
العراق
- أ.د. هاشم داخل الدراجي
جامعة ميسان/كلية التربية/قسم علوم القرآن/التاريخ الاسلامي

الإدارة المالية

الاستاذ عقيل عبدالحسين عيسى الياسري

الادارة الفنية

م.د.ياسين خضير عبيس

الإعداد والتحرير

حسن علي عبداللطيف المرسومي

الموقع الإلكتروني

أ.م.د. محمد محسن العبادي

م.د. محمد جاسم عبد ابراهيم

عقيل مسلم الخزاعي

النشر و التوزيع

محمد خليل الاعرجي

علي مهدي الصائغ

التصميم

حسين عقيل ابو غريب

الإخراج الطباعي

علي ماميثة



قصيدة نُورُخُ فِيهَا مَجَلَّةُ ((نَبِيْنَا))، وهي مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ
سَنَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَدْبِيَّاتِهَا تُصَدِّرُ عَنْ دَارِ الرَّسُولِ
الْأَعْظَمِ النَّاطِقَةِ إِلَى الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

علي الصفار الكربلائي

نَبِيْنَا بَنِيَّ وَرَه ظَاهِرُ
وَوَضَعُهُ فِي اللَّوْحِ غَنَتْ بِهِ
فَهُوَ سِرَاجُ نَبِيَرٍ دَائِمًا
وَأَسْوَةٌ مِمَّا مِثْلُهُ أَسْوَةٌ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِجَوْفِ الدُّجَى
وَهُوَ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ مَعًا
سَيَرْتَهُ أَرِيحَ جَنَاتِهِ
وَجَاءَ بَعْضُ مُغْرَضٍ شَانِيٍّ
وَقَالَ مَا قَالَ بِحَقِّ الْهَدَى
فَأَحْمَدُ الْمُخْتَارِ نُورٌ وَمَا
وَمَا عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ نَهْتَدِيَ
وَنَنْطِقَ الْحَقَّ كَمَا جَاءَ نَبَا
وَنَنْشُرَ السَّيْرَةَ مَقْرُونَةً
وَالْيَوْمَ فِي ظِلِّ الْوَفَا وَالْإِبَا
((نَبِيْنَا)) مَجَلَّةٌ هَاهُنَا
تَبَحُّثُ فِي سَيْرَةِ خَيْرِ الْوَرَى
وَفِي لُغَاتٍ ثَلَاثَ قَدِّ بَدَتْ
مَجَلَّةٌ دَارُ الرَّسُولِ لَهَا
وَكَفَّ عَبَّاسٌ رَعَى رَبَّهَا
زِدْ تَسْلَعَةً مَجَلَّةٌ أَرْخَتْ:

((1137+ 183 + 113)) + (9) +

دليل الباحث

- تعنى المجلة بنشر البحوث الأصيلة التي تتناول بالدراسة شخص النبي الأعظم ﷺ وسيرته المباركة.
- تخضع البحوث المرسلّة إلى التقويم لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت أم رفضت.
- تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الاستلال العالمي (Turnitin).
- تنسيق مصادر البحث يكون وفق تنسيق شيكاغو Chicago full note ويفضل استخدام برنامج Mendeley لكتابة وتنسيق المصادر.
- يُبلّغ الباحث بالقبول أو الرفض لبحثه من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يلتزم الباحث بمنهج البحث العلمي المتعارف، وأن لا يكون البحث منشوراً سابقاً ويقدم الباحث تعهداً خاصاً بذلك.
- تستقبل المجلة البحوث الكترونياً على الايميل :
daralrasul@alameedcenter.iq
- و ورقياً بنسخة واحدة مع قرص مدمج (cd) بخط simplified Arabic.
- ألا يتجاوز عدد كلمات البحث (١٠٠٠٠) كلمة.

- يقدم الباحث ملخصًا لبحثه مع الكلمات المفتاحية.
- تتضمن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث وعنوانه
- (جهة العمل) ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني.
- إرفاق السيرة العلمية للباحث.
- تعبر الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر والتوزيع للمجلة او من تخوله.
- يراعى في أسبقية النشر تاريخ تقديم البحث مع مراعاة سياسة
- المجلة في تنوع البحوث المنشورة.



للتواصل:

Tel: +964 760 235 5555

Email: daralrasul@alameedcenter.iq

دليل المقوّمين

يراعي المقوّم العلمي ما يأتي :

- ١- تطابق التخصص العلمي للبحث مع تخصص المقوّم.
- ٢- أن يكون موضوعاً دقيقاً في قراءة البحث وتقويمه، وإبداء الملاحظ التي ترتقي بالبحث وتندارك ما فات صاحبه.
- ٣- تناغم البحث مع أهداف المجلة في إثارة موضوعات هادفة يحتاج أن يطلع الآخر عليها.
- ٤- توافر البحث على الضوابط العلمية والمنهجية التي تجعل من البحث أصيلاً في ميدانه.
- ٥- دقة عنوان البحث وتعبيره عن مضمونه.
- ٦- وجود ملخص وافٍ يعرض لأهمية البحث ومشكلته وأهم نتائجه.
- ٧- إجراء التقويم بسرية تامة وعدم اطلاع الباحث على التقويم أو التواصل معه.
- ٨- تدوين التعديلات الرئيسة التي يجب على الباحث الأخذ بها.
- ٩- سلامة البحث فكرياً وعدم مساسه بالثوابت العقدية.



مجلة علمية نصف سنوية محكمة تُعنى بالسيرة النبوية المباركة وأدبياتها
تنشر البحوث بثلاث لغات هي (العربية، والانكليزية، والفرنسية)
معتمدة للنشر العلمي والترقيات العلمية
لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقي
وفقا للأمر الوزاري ذي العدد (ب ت ٤ / ٤٠٨٢)
في ٢٢/٦/٢٠٢٢، وابتداءً من المجلد ١- العدد ٢-٢٠٢١

كلمة العدد



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، حبيبته
وأمينه على وحيه ومبلغ رسالاته وعلى آله الكرام الاطهار .
لم يكن البحث في السيرة النبوية بحثاً تاريخياً محضاً يسعى إلى كشف تفاصيل
الأحداث الماضية فحسب بل يمثل منهجاً للحياة ودليلاً للسمو الحضاري ،
فهو لا يرفع الغبار عن ماضٍ بل يرسم حياة للحاضر وصورة مثلى للمستقبل؛
إذ إن إشارات السيرة المباركة لا تحدها حدود ولا يستوعبها زمان أو مكان
إنها سيرة الخاتم ﷺ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء: ١٠٧) ،
تمتد لتشمل جوانب الحياة المعاصرة المختلفة، وتضيء جوانب متعددة لسد
الفراغات والإجابة عن التساؤلات .

والدراسات العلمية التي يقدمها المتخصصون كفيلة بتسليط الضوء على هذه
الجوانب القيمة من خلال استقراء أحداث السيرة وملابساتها وتحليلها تحليلًا
قائماً على أسس علمية راسخة ؛ لذا تطلق دار الرسول الأعظم ﷺ العدد
الحادي عشر من مجلة (نبينا) الغراء ليشتمل على مجموعة أبحاث تعالج
إشكاليات مختلفة طرحت في الساحة البحثية كزواجه من زينب بنت جحش

من منظور المستشرقين،

ورواية (ما أنا بقارئ) ، وتعرض أيضا

موضوعات أخرى كالمقاربة بين سيرة نبينا والنبى موسى ﷺ في

القرآن الكريم ، فضلا عن أبحاث تتعلق بكيفية الإفادة من سيرته في بناء

الإنسان والمجتمع أو دراسة منهج بعض العلماء في عرضهم للسيرة المباركة،

لتكون هذه الأبحاث لبنة من لبنات الكشف عن السيرة النبوية، وبيان الأسس

والضوابط لبناء الذات الإنسانية والراقي الاجتماعي .

القارئ الكريم بين يديك هذا العدد من مجلة نبينا ﷺ ، آملين أن يكون نافعا

مثمرا يضيء جانبا لم يسلط الضوء عليه بما يكفي أو يفتح آفاقا جديدة أو يعالج

واقعا بما يقدمه من روى تعزز ارتباطنا بالدين الإسلامي الحنيف وسيرة نبيه

الكريم ﷺ وقيمه ومبادئه . والحمد لله أولا وآخرا .



المحتويات

- ١٧ أسس الأمن المجتمعي وقيم التعايش في وثيقة المدينة
مقاربة في أصول بناء الإنسان وإرساء دعائم العمران
أ.د.علي بن موحى بن حدو سعاو / المغرب
-
- ٤١ البنية الظاهرية والمضمرة في سورة القصص
دراسة مقارنة بين هجرة النبي موسى وهجرة النبي محمد ﷺ
م.د.احمد صاحب غالي الجشعمي / العراق
-
- ٦٣ السيرة النبوية المباركة بين الثوابت القرآنية وإعمال العقل الإصلاحي
قراءة في المنهج المقاصدي عند محمد الطاهر ابن عاشور
د. محمد العزيز بن زاكور / تونس
-
- ٨٣ الدراسات الاستشرافية ومحاولات النيل من السلامة النفسية لشخصية
الرسول الاكرم ﷺ زواجه من زينب بنت جحش أنموذجاً
د. علي حسين صادق المؤمن / بريطانيا
-
- ١٠٧ نقد مرويات السيرة النبوية المباركة : روايتا: امتناع النبي ﷺ عن القراءة:
" ما أنا بقارئ" حين نزول الوحي وإنه من أمة لا تقرأ ولا تكتب!
منيف فياض عبد عيادة/ العراق

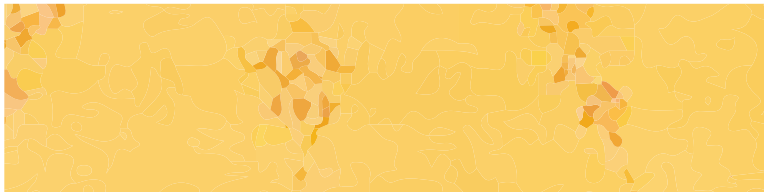
السيرة النبوية المباركة
بين الثوابت القرآنية
وإعمال العقل الإصلاحي
قراءة في المنهج المقاصدي
عند محمد الطاهر ابن عاشور



د. محمد العزيز بن زاكور

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة منوبة / تونس

azizbenzakour951@gmail.com





نبيونا

Journal Homepage: <http://nabiyuna.com>
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)



تاريخ التسلم: ٢٠٢٦/٠١/١٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٣/٢٨

تاريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٦/٢٩

السنة (٦) - المجلد (٦)

العدد (١١)

محرم الحرام ١٤٤٨ هـ

حزيران ٢٠٢٦ م

DOI: 10.55568/n.v6i11.63-81



السيرة النبوية المباركة

بين الثوابت القرآنية وإعمال العقل الإصلاحي

قراءة في المنهج المقاصدي عند محمد الطاهر ابن عاشور

محمد العزيز بن زاكور^١

^١ جامعة منوبة / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / تونس؛

azizbenzakour951@gmail.com

دكتوراه في الحضارة العربية الإسلامية تصوّف إسلامي / دكتوراه

الملخص:

يُعدّ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣) من أبرز علماء التجديد في الفكر الإسلامي الحديث، وقد تميّز بموقفه المتوازن من السنّة النبوية؛ فهو لم يكن من منكري الحديث أو المتأثرين بالاتجاه القرآني الخالص، بل أكّد على مكانة السنّة في ضوء القرآن ومقاصد الشريعة من غير جهود على ظاهر النصوص ولا تعطيل لوظيفتها الحضارية، ولم يُعرف عنه أيّ خطاب عدائي تجاه الفرق الإسلامية المخالفة، بل ساد منهجه نزوع نحو الانفتاح والنقاش الهادئ، ما يجعل فكره مؤهلاً للمساهمة في مشاريع التقريب والوحدة الإسلامية.

تسعى هذه الورقة إلى استجلاء معالم المنهج العقلي والمقاصدي في تناول السيرة النبوية

المباركة عند ابن عاشور، بالرجوع إلى مختلف كتاباته المتعددة ولعل أهمها تفسيره للقرآن الكريم : " التحرير والتنوير" وكتبه المتعددة الأخرى ومن جملتها : مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي، قصّة المولد، أليس الصبح بقريب. وتطرح هذه الورقة العلميّة الإشكالية الآتية :

كيف يوفق ابن عاشور بين ثوابت السيرة النبوية كما وردت في القرآن الكريم، وبين الدعوة إلى إعمال العقل والمقاصد في فهم هذه السيرة بعيداً عن الجمود أو التحريف؟
تعتمد الورقة المنهج التحليلي التأويلي ، وتتناول الموضوع في ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : السيرة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور محمد الطاهر ابن عاشور.
المبحث الثاني : الثوابت القرآنية في السيرة حسب محمد الطاهر ابن عاشور.
المبحث الثالث : الفكر المقاصدي والقراءة العقلية للسيرة عند ابن عاشور.
وتخلص الدراسة إلى أنّ ابن عاشور أسّس رؤية عاقلة ووسطية لفهم السيرة النبوية، تجمع بين احترام النصوص وثوابت الوحي، وبين تفعيل العقل والاجتهاد في ضوء المقاصد الكبرى . وتوصي الورقة بضرورة إدماج هذا المنهج في مناهج تدريس السيرة، وتشجيع قراءات عابرة للمذاهب تُعيد للسيرة بعدها الإنساني والتربوي الجامع .

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، التحقيق والتدقيق، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، إعمال العقل الإصلاحي، الثوابت القرآنية، المنهج المقاصدي.

Prophetic Chronicle Between Quranic Constants and Exercise of Reformist Reason Reading Teleological Methodology of Muhammad al-Tahir ibn Ashur Muhammad al-Aziz ibn Zakur ¹

¹ Faculty of Human and Social Sciences/ Tunis;

azizbenzakour951@gmail.com

PhD in Arab Islamic Civilisation / Islamic Sufism

Received:

10/01/2026

Accepted:

28/03/2026

Published:

29/06/2026

Keywords: Prophetic Chronicle , Verification and Scrutiny - Sheikh Muhammad al-Tahir ibn Ashur - Exercise of Reformist Reason - Quranic Constants - Teleological Method.

NABIYUNA Journal

Sixth year- Volume

Six- 11th Edition

Muharram 1448 AH.

June 2026 AD.

DOI:10.55568/n.v6i11.63-81.e

Abstract

Sheikh Muhammad al-Tahir ibn Ashur (1879–1973) is considered among most prominent scholars of the renewal in the modern Islamic thought. He was distinguished by his balanced stance on Prophetic Sunnah; he was neither among deniers of Hadith nor those influenced by the pure Quranic trend, but rather affirmed the position of the traditions in the light of Quran and objectives of Islamic law without rigid adherence to literal texts or suspension of its civilisational function. Furthermore, no hostile discourse towards opposing Islamic sects was known for him; instead, his method was dominated with an inclination towards openness and calm discussion, which makes his thought qualified to contribute to projects of convergence and Islamic unity.

The current paper clarifies the features of the rational and teleological method in addressing Prophetic Chronicle according to Ibn Ashur, through referring to his various multiple writings, perhaps most important of which is his exegesis of Holy Quran: "Liberation and Enlightenment" and his other various books : Objectives of Islamic law, Fundamentals of Social System, Story of Birth, and so forth.



This scientific paper stirs the following problematic question:

How does Ibn Ashur reconcile between constants of Prophetic Chronicle as stated in Glorious Quran, and call to exercise reason and objectives in understanding this Chronicle away from rigidity or distortion?

Paper adopts an analytical hermeneutical method and addresses topic through three sections:

First Section: Chronicle and Sunnah between Comprehensiveness and Verification in Perspective of Muhammad al-Tahir ibn Ashur.

Second Section: Quranic Constants in Chronicle According to Muhammad al-Tahir ibn Ashur.

Third Section: Teleological Thought and Rational Reading of Chronicle According to Ibn Ashur.

The study concludes that Ibn Ashur established a rational and moderate vision for understanding Prophetic Chronicle, combining respect for texts and constants of revelation, with activation of reason and independent reasoning in the light of major objectives. Paper recommends necessity of integrating this method into curricula of teaching chronicle, and encouraging trans-sectarian readings that restore to chronicle its comprehensive human and educational dimension.

المقدمة:

تمثّل السيرة النبوية المباركة*^١ المجال الفسيح الأرحب لتجلّي الوحي الإلهي في التاريخ باعتبارها مجالاً تطبيقياً للتجربة الإسلامية التاريخية يجتمع فيها النصّ القرآني المنزل والمؤصل بالتطبيق النبوي، فتكون بذلك ميداناً يجمع بين الثوابت التي لا تقبل التبديل والاجتهادات التي تستجيب لتحديات الواقع، ومن ثمّ فإنّ النّظر في السيرة ليس مجرد استدعاء لوقائع ماضية بل هو استبصار لطريق يهدي الأمة في حاضرها ومستقبلها.

غير أنّ الإشكالية الكبرى التي تواجه الباحث في السيرة تتمثّل في كيفية الموازنة بين الثوابت القرآنية القطعية التي جسّدت السيرة وبين إعمال العقلي الإصلاحي الذي يتطلبه تجديد فهم السيرة في ضوء المستجدات؟ ويزداد هذا الإشكال تعقيداً حين نضع في الحسبان ضرورة تحقيق الرّواية وتمحيص الأخبار لتمييز الصحيح من الضعيف والزائف قبل اعتمادها في بناء التصور المقاصدي، فهل يمكن لهذا التوازن أن يُبنى على منهج علمي يحقّق الوفاء للمقاصد الشرعيّة ويمنع الانفلات من الضوابط أو الوقوع في الجمود.

ومن هنا تبرز أهميّة مشروع الإمام محمد الطاهر بن عاشور**^٢ التونسي مولداً ومنشأً، الزيتوني علماً ونسبة وهو الذي جمع في كتاباته بين عمق الفقيه الأصولي وسعة المفسّر المتبحّر، وبُعد نظر

١ السّلميّ، محمد بن صامل مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط١ (الرياض).

٢ شتّام محمود والساحلي محمد العزيز، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري تونس ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م (المطبعة العصرية)، ص ٩٨-١٠٦. * السيرة النبوية المباركة: هي دراسة حياة النبي محمد ﷺ والاطلاع على أخباره ومعرفة صفاته الخلقية والخلقية ودلائل نبوته وكل ما يتعلّق بحياته ﷺ من قبل الولادة إلى الوفاة، وتمثّل المصادر الأساسية للسيرة النبويّة في: القرآن الكريم الذي يعرض المراحل الأساسية في حياة النبي ﷺ وكتب الحديث والسنة النبوية التي ألّفها أئمّة الحديث وكتب السيرة والشائيل والخصائص ودلائل النبوة والمغازي ومن أهمّها "الابتداء والمبعث والمغازي" المعروف بـ "سيرة ابن إسحاق" ومختصرها المعروف بـ "سيرة ابن هشام" وشرحها المسّمّى بـ "الروض الأنف" لأبي القاسم السهيلي وكتاب "الشفّا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض و"دلائل النبوة" للبيهقي وغيرها... حول السيرة النبويّة ومنهج دراستها، محمد بن صامل السّلميّ مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط١ (الرياض).

** ابن عاشور محمد الطاهر (١٤٥٥ هـ/ ١٨٧٩ م - ١٥٣٧ هـ/ ١٩٧٣ م) من أعلام الإصلاح الديني والفقه وسائر العلوم الشرعية في تونس والعالم الإسلامي درس بجامعة الزيتونة ودرّس فيه وتولّى خطّة شيخ الجامع الأعظم (الزيتونة) وأسهم في تطوير التعليم الزيتوني وإصلاح مناهجه بما يزاوج بين الأصالة والتجديد، جمع بين التكوين العميق في العلوم الشرعية واللّغوية وبين الإطلاع الواسع على الفكر الغربي الحديث ممّا أتاح له صياغة قراءة مقاصدية متجدّدة للشيعة الإسلامية، يعدّ تفسيره "التحرير والتنوير" من أبرز التفاسير الحديثة للقرآن كما مثّل كتابه "مقاصد الشيعة الإسلامية" نقلة نوعية في علم المقاصد.

الإصلاحي المتبصّر وقد أتاح لنا من خلال مؤلفاته الكبرى (ومنها تفسير التحرير والتنوير^٣ وقصة المولد^٤ ومقاصد الشريعة الإسلامية^٥ وأليس الصبح بقريب^٦ وأصول النظام الاجتماعي^٧ وغيرها من المصنّفات) نموذجاً متكاملًا في قراءة السيرة من منظور يجمع النصّ بالعقل فلا يكتفي بظاهر النصوص (كما يفعل الاتجاه الحرفي) بل يعمل العقل لفهم مقاصدها وعللها، ويجمع بين الجزئي والكلّي أي أنّه لا يقف عند الأحكام الجزئية المتفرقة وإنما يربطها بالكلّيات المقاصدية، فكان بحق يؤصّل النصّ ويحقّقه ويفعّل العقل ويرجّحه في منهج أصولي مقاصدي عجيب، جعلت من الشيخ الإمام شخصية إصلاحية محوريّة في الفكر المقاصدي الحديث.

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أنّ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قد أصل منهجاً مقاصدياً يسمح بإعمال العقل الإصلاحي في قراءة السيرة النبوية المباركة مع الحفاظ على الثوابت القرآنية، وتفيد هذه الفرضية أنّ المقاصد عنده تعمل ضابطاً ومعيّراً للفصل بين ماهو ثابت وماهو ظرفي أو قابل للاجتهاد

أمّا في ما يتعلّق بالمنهج المعتمد في هذا البحث فقد اعتمدت منهجاً تحليلياً استقرائياً يقوم على استقراء نصوص ابن عاشور من كتبه المركزيّة مع تحليل دلالاتها في ما يتّصل بالسيرة مع محاولة ربطها بأصول المنهج المقاصدي في موازنة بين النصّ الثابت والعقل المجتهد وانقسم هذا البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تعلّق المبحث الأوّل بالسيرة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور ابن عاشور، بينما تعلّق المبحث الثاني بالثوابت القرآنية في السيرة كما صاغها الشيخ ابن عاشور، في حين تعلّق المبحث الثالث بالمنهج العقلي المقاصدي في قراءة السيرة عنده فما موقف الشيخ من السيرة النبوية على وجه العموم؟

٣ ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير (دار سحنون للنشر).

٤ قصة المولد، طبعة الدار التونسية للنشر لهذا الكتاب، د.ت.

٥ ابن عاشور محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط٣ (الشركة التونسية للتوزيع).

٦ ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب.

٧ ابن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي.

المبحث الأول

السيرة المباركة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور محمد الطاهر ابن عاشور

١ - الشمول في السيرة النبوية والسنة الشريفة :

تتميز السيرة النبوية المباركة والسنة الشريفة^٨ بخاصية الشمول ، فهي لا تقف عند حدود ضيقة من القول أو الفعل بل تمتد لتشمل حياة الرسول محمد في عباداته ومعاملاته في بيته ومع زوجاته، في سلمه وحربه ، في أخلاقه وتشريعاته ، بحيث تصبح نموذجاً حياً تترجم الوحي إلى واقع معيش ، فالسنة تمثل ذلك الجانب التشريعي المعبر عن إرادة الشريعة في تفصيل الأحكام وتوضيح المجمل القرآني ، بينما تستوعب السيرة ذلك كله وتضيف له ما تقوم برصده من وقائع تاريخية وتجليات إنسانية وسياقات اجتماعية، ومن هنا كان الشمول خاصية تمنح السيرة والسنة قدرة فائقة على بناء شخصية المسلم تربية وتشريعاً معاً وتجعلها يشكّلان مصدراً مرجعياً متكاملين لا يقتصر على التعيد التشريعي القانوني بل يتعداه إلى التهذيب الروحي والإصلاح الاجتماعي، وهذا الشمول هو الذي جعل المفسرين والأصوليين يرون في السيرة والسنة منظومة متكاملة تتكافأ فيها الجزئيات والوقائع مع المقاصد، ومن هؤلاء الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الذي كان يعتبر حياة النبي ﷺ وقراراته وسلوكه مصدراً عملياً للأمة وليس مجرد سرد تاريخي ولكنه قدوة أخلاقية وتشريعية، استجابة لقول الله في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١) يبدأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية ببيان معنى الأسوة ذاكراً أنها بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله، وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة ، كما بين أن الائتساء والافتداء بالرسول إنما يكون اقتداء به في أقواله بامثال أوامره واجتناب نواهيه علاوة على الائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات^٩ وبذلك نتبين من آراء

٨ الجرجاني أبو الحسن، التعريفات (مطبعة دار الكتب العلمية)، ص ١٢٥ .

٩ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢١ (دار سحنون للنشر والتوزيع) ص ٣٠٢-٣٠٣ .
* السنة : لغة العادة وشريعة ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو لا تقرير .

الشيخ ابن عاشور هذه الشمولية في السيرة النبوية التي تتجاوز أقوال الرسول الأكرم ﷺ وأفعاله وإقراراته إلى التحلي بجميل صفاته ومكارم أخلاقه، ويختم الشيخ ابن عاشور تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب بقوله " وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محالة "١٠ وحرّي بنا أن نشيد بموقفه من السيرة النبوية على وجه العموم والسنة المحمدية على وجه الخصوص، فقد أكد الشيخ ابن عاشور أهميّة ما يصدر عن هذا النبي من قول وفعل ودوره المركزي في فهم الدين وتطبيق مقاصد الشريعة يقول ابن عاشور في تفسير الآية السابعة من سورة الحشر، وتحديدًا في قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) والإيتاء مستعار لتبليغ الأمر إليهم، جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم،... وهذه الآية جامعة للأمر باتّباع ما يصدر عن النبي ﷺ من قول وفعل فيندرج فيها جميع أدلّة السنة "١١ وقد اختلف الشيخ ابن عاشور عن ذلك التيار القرآني الحديث الذي قلّص دور السيرة ورفض السنة وألغاهها باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع * فابن عاشور يعتبر السيرة امتدادا حيّا للقرآن وتطبيقا عمليًا لمقاصده كما يعتبر السنة ثاني مصادر التشريع بعد النص القرآني. لكنّ السؤال المطروح: كيف تعامل ابن عاشور مع السيرة النبوية والسنة المحمدية تثبّتا وتحقيقا؟ سيّما وأنّ السيرة النبوية بما في ذلك السنة الشريفة كانت عبر التاريخ عرضة للتصحيّف والتحريف والوضع، سواء بدافع العصبيّة المذهبية أو المقاصد السياسيّة أو الأغراض الوعظية، وقد أفرز ذلك تراثا مختلطا بين الصحيح والموضوع والصادق والكاذب ممّا استدعى جهود العلماء في التمهّيص والنقد والجرح والتعديل.

١٠ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ٣٠٣.

١١ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٨ (دار سحنون للنشر والتوزيع) ص ٨٦-٨٧.

* ظهر الاتجاه المعروف اليوم باسم القرآنيين في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، ويعدّ أحمد خان (ت ١٨٩٨) من أبرز المؤثرين الأوائل إذ دعا إلى قراءة القرآن مباشرة وفق العقل والعلم الحديث وانتقد اعتماد المسلمين على الروايات الحديثية، وتبلور هذا التيار أكثر مع جماعة "أهل القرآن" التي أسسها عبد الله جكرالوي توفي (١٩١٤ م) حوالي (١٨٨٠ م) إذ صرّح أن القرآن الكريم وحده مصدر تشريع، ومن أبرز الشخصيات العالمية أيضا في هذا التيار القرآني: غلام أحمد برويز (ت ١٩٨٥ م) وهو مفكر باكستاني بارز كان من أبرز المنظرين لرفض مصدرية السيرة في التشريع. وفي مصر في القرن العشرين برز أحمد صبحي منصور المولود سنة ١٩٤٩ م، وهو أستاذ بجامعة الأزهر سابقا أسس لاحقا تيار القرآنيين في مصر ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، وأمّا في تونس فقد تبنّى الجامعي المفكر والمؤرخ محمد الطالب (ت ٢٠١٧ م) هذا التيار القرآني وتصدّر للدفاع عنه.

٢- الشيخ ابن عاشور مثبّتا ومحققا:

يرى ابن عاشور أنّ أيّ دراسة منهجية للسيرة يجب أن تبدأ بالثبّت في الأخبار وتحقيقها وتدقيقها قبل الانطلاق في استخراج المقاصد منها، فالتحقيق السّندي والمتنّي هو شرط لا غنى عنه لمنع الانحراف أو الالتباس ولحماية المعاني المقاصدية العظمى من أيّ تحريف أو سوء فهم، ولا يغفل في هذا المقام أنّ الشّيخ ابن عاشور قد كان عالما متضلّعا في علوم السنّة النبويّة رواية ودراية، وقد توفّرت له مؤهّلات علمية عالية في علم الرواية جعلته قادرا على التمييز بين مختلف الروايات والاستدراك على كبار المحدثين في بعض المسائل، ولا عجب في ذلك فهو تلميذ وفيّ مخلص لمنهج الإمام مالك ابن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) في التعامل مع السنّة فقد كان مالك شديد الحزم والصرامة في التعامل مع السنّة النبويّة، فلا يقبل أيّ حديث إلّا بعد الثبّت من رجاله وسنده وكان يأخذ بالسنّة المتواترة على الآحاد، لكنّه يقدّم عمل أهل المدينة الذي هو في حكم السنّة العمليّة المتواترة على الآحاد، وهو في الآحاد محتاط من حيث اختيار الرّواة الذين يروى عنهم^{١٢} وقد قام الشيخ ابن عاشور اقتفاء لهذا الأثر الطيّب بتأليف كتاب سمّاه: «كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ»^{١٣} وهو الذي كان يدرّس موطأ الإمام مالك في جامع الزيتونة المعمور، وقد قدّم لهذا الكتاب الذي حقّق فيه المباحث وكشف المشاكل وأثبت المسائل^{١٤} بمقدّمة أشار فيها إلى دواعي تأليف مالك كتاب الموطأ ومنهجه في تحمّل الحديث وقبول الرواية والشروح التي وضعت لهذا الكتاب.

وكانت للشيخ ابن عاشور العديد من التعليقات والتحقيقات على بعض ما ورد في صحيح البخاري سمّاه: "النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح"^{١٥} فقد مكّنه زاده العلميّ المعرفيّ الوافر بعلم الحديث وسعة اطلاعه على السنّة النبوية، وتضلّعه العجيب في علوم اللغة

١٢ حمادو نذير، منهج الإمام مالك في التعامل مع السنّة النبويّة دراسة أصوليّة حديثيّة (مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية) ص ١٥.

١٣ ابن عاشور محمد الطاهر، كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع).

١٤ ابن عاشور محمد الطاهر، كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ص ٥.

١٥ ابن عاشور محمد الطاهر، النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح، ط ١ (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دار سحنون للنشر والتوزيع).

العربية وبلاغتها من قراءة مدققة حصيفة لما جاء في جامع الإمام البخاري وكان كثيرا ما يخالف برؤيته المتبصرة بسنن التاريخ وأحوال الاجتماع البشري فهو العديد من شراح الأحاديث النبوية بل إنه يثبت في بعض الأحيان خطأهم في الفهم فيعدل ويصوب ويقيم ويقوم*^{١٦}.

وفي ما يتعلق بالتعامل مع السنة النبوية، يرى ابن عاشور أنه لا ينبغي التسامح في إيراد الأحاديث الضعيفة ولو كان ذلك في فضائل الأعمال كما أنه لا يجوز ذكر الأحاديث مجردة من الرواة باستثناء اسم الصحابي، يقول الشيخ ابن عاشور: "اعتلّ الوضّاعون بعد ما رأوا من صرامة أهل النقد بعلة جديدة وهي التساهل في أحاديث فضائل الأعمال ومنشأ ذلك شيوع التصوّف ظناً منهم أن الكذب في التّغريب مصلحة حتّى إنّ أحدهم ليم على صنيعة وذكّر بحديث: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فقال إنّما كذبت له لا عليه"^{١٧} ويستغرب ابن عاشور من موقف الإمام النووي* الذي يحكي اتفاق الحفاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ويعتبر ابن عاشور أنه من الواجب سدّ هذه الذريعة.^{١٨} ويمكن أن نخلص إلى أنّ موقفه من السنة خصوصاً ومن السيرة عموماً هو موقف المثبّت المتحرّي ففي كتابه "قصة المولد" الذي يعد كتاب سيرة نبوية مختصرة اقتصر ابن عاشور على الصحيح من الأخبار وعدل كل ما هو ضعيف وخيالي من وضع الوعّاظ والقصاصين، وأنصار المذاهب والنحل^{١٩} وهو بذلك سائر على منهاج الإمام مالك بن أنس في شدة حذره في نقل الحديث، وقد روي عنه أنه قال: "لقد أدركت أناسا يستسقى بهم الغمام ما أخذت عن واحد منهم"^{٢٠}.

١٦ ابن مبارك نعان جعيم، فقه السنة النبوية عند محمد طاهر بن عاشور دراسة ضمن كتاب محمد طاهر في عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية) ص ٥٢٨-٥٣٢.

١٧ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٣.

١٨ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٣.

١٩ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٠.

٢٠ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧١.

*للاطلاع على نماذج من تعليقات محمد طاهر بن عاشور وتصويباته في هذا الكتاب.

**النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) محدث وفقه ولغوي وأحد أبرز فقهاء الشافعية اشتهر بكتبه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم ومنها: الأذكار - الأربعين النووية - رياض الصالحين - منهاج الطالبين...

وإذا كان الشَّيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور قد تميَّز بحزم علميٍّ صارم في تمحيص أخبار السيرة النبويَّة مستندا إلى معايير الرواية والدراية رافضا الانسياق وراء الأخبار الواهية والمرويَّات غير الموثوقة ، فإنَّ ذلك المنهج لم يكن غاية في ذاته بقدر ما كان مدخلا ضروريًّا لاستجلاء المقاصد الكبرى التي رسمها القرآن الكريم للسيرة ، فإنَّ ابن عاشور لم يتوقَّف عند حدود النِّقد التاريخي للنصوص بل ارتقى إلى مستوى البحث في الثوابت القرآنية التي تشكِّل البنية الصَّلبة للسيرة النبوية لتغدو هذه الثوابت معيارا لفهم حركة الرسول ﷺ في التاريخ وفي هذا المقام نتساءل عن قراءة ابن عاشور للسيرة من خلال استنطاق القرآن الكريم باعتباره المرجع الأوثق والأرسخ في تدعيم تلکم الثوابت وتأصيلها .

المبحث الثاني

الثواب القرآنية في السيرة المباركة حسب محمد الطاهر ابن عاشور

الثواب القرآنية والسيرة :

تطلق عبارة الثواب القرآنية على جملة المبادئ والقيم والأحكام التي وردت في القرآن الكريم بصيغة قطعية الدلالة والثبوت فصارت أصولاً لا تقبل النسخ ولا التبديل ولا الاجتهاد المفضي إلى نقضها، فهي تمثل الأساس الذي يبنى عليه التشريع الإسلامي وتقاس عليه المتغيرات، وتشمل هذه الثواب كليات العقيدة وأركان العبادات الكبرى ومبادئ الأخلاق العامة مثل العدل والرحمة والصدق والأمانة إضافة إلى القيم المؤسسة للعلاقات الاجتماعية والسياسية كالشورى وحفظ الكرامة الإنسانية .

وأما السيرة النبوية المباركة فهي الميدان التطبيقي الذي تجسّدت فيه هذه الثواب القرآنية واقعا معيشا في حياة الرسول ﷺ إذ إنّ شخصه الكريم كان الترجمان العملي للقرآن الكريم كما وصفته عائشة قائلة : “ كان خلقه القرآن ” ومن هذا المنطلق تصبح السيرة الشرح العملي لتلك الثواب، فهي تظهر كيفية ترجمة النص القرآني إلى سلوك فردي وممارسة جماعية وبناء حضاري ، فما أمر به القرآن كان الرسول محمد ﷺ أول الممثلين له وما نهى عنه كان أبعد الناس عن ارتكابه ، وبذلك كان سلوكه ﷺ منبعا للأمة في التربية والاقتداء، وهذا ما أكّده ابن عاشور في ربطه بين ثواب القرآن الكريم و سيرة خير خلق الله .

٢- السيرة النبوية مرآة الثواب القرآنية عند ابن عاشور :

إنّ السيرة العطرة لرسول الله ﷺ في نظر الشيخ ابن عاشور تمثل المرآة الصافية النقيّة التي تعكس ملامح الثواب القرآنية فلا تكاد تبصر في حياة الرسول ﷺ موقفاً إلاّ وجدت فيه انعكاساً لنور الوحي ، فهي المرآة التي تظهر الصورة على حقيقتها إذ تجسّد المبادئ القرآنية في هيئة بشريّة حيّة : رحمة في التعامل وعدلا في الحكم وصبرا في البلاء ، ومن خلال هذه المرآة يرى المؤمنون

كيف تتحوّل القيم الإلهية إلى واقع عمليّ يوجّه السلوك الفرديّ والجماعيّ ، وهكذا تصبح السيرة النبويّة المباركة الامتداد التطبيقي للقرآن بل هي التطابق التام معه يقول الشيخ ابن عاشور في كتابه أصول النظام الاجتماعي * مؤكّدا هذا الرأي : " إذا عرضت آية آية من آي القرآن الواردة في خُلق حسن وعمل صالح وتأملت من سيرة رسول الله ﷺ في الناحية الوارد فيها القرآن وجدت سيرة رسول الله ﷺ مطابقة لما تضمّنه القرآن ، فالقرآن إذن هو جامع مكارم الأخلاق والرسول هو مظهر تلك المكارم »^{٢١}.

وفي تفسير ابن عاشور لقوله تعالى مخاطبا رسوله الأكرم ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (سورة نون: ٤) نتبيّن من كلامه أنّ هذه الآية تتجاوز الشاء القرآني على شخص النبيّ محمد ﷺ لتقرّ مبدأ ثابتا يجعل من أخلاقه معيارا ملزما للأمة ومرجعا في التشريع والسلوك ، معتبرا أنّ القرآن الكريم حين يشهد للنبيّ ﷺ بالعظمة الخلقية فهو يربط السيرة كلّها قولاً وفعلًا بأفق قرآنيّ قطعي لتكون حياة الرسول ﷺ التطبيق الأسمى لمقاصد الشريعة في تركية النفس ونشر مكارم الأخلاق يقول الشيخ ابن عاشور : " فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم ولا شك أنّ الرسول ﷺ أكبر مظهر لما في شرعه... فكما جعل الله رسوله على خلق عظيم جعل شريعته حمل الناس على التخلّق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة^{٢٢}.

ومن أظهر الآيات القرآنية التي أبرز فيها محمد الطاهر ابن عاشور ثوابت قرآنية في السيرة النبويّة قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

فقد استخلص ابن عاشور في التحرير والتنوير أنّ هذه الآية ترسي قاعدة خالدة في القيادة النبوية باعتبار أنّ العفو والرحمة من أسباب دخول الناس في دين الله ونجاح الدعوة ، وأنّ الشورى

٢١ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي، ص ١٢٧.

٢٢ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٩ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس) ص ٦٤.
* بعد كتاب أصول النظام الاجتماعي للشيخ ابن عاشور من المصنّفات الهامة التي وقع التركيز فيها على هذه الثوابت في مختلف أقسامه.

لا تجعل منه قائدا متجبرا يفرض سلطانه بالعنف والقهر فالرسول محمد ﷺ كان قدوة في الجمع بين الحزم واللين وبين التوجيه النبوي والالتزام بالمقاصد القرآنية، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «فخلق الرسول مناسب لتحقيق مراد الله من إرساله... أرسل محمد مفطورا على الرحمة فكان رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها... وورد أن صفح النبي وعفوه ورحمته كان سببا في دخول كثير في الإسلام»^{٢٣}

وبخصوص مسألة الشورى التي أمر الله بها رسوله في هذه الآية بدا الشيخ ابن عاشور مشيدا بفضلهام ومعتبرا إياها من سلوك سليمي الفطرة، يقول ابن عاشور في تفسيره: «هذا والشورى مما جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة، أي فطرة على محبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور في شأنه إذ قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) إذ قد غني الله عن إعانة المخلوقات في الرأي ولكنه عرض على الملائكة مراده ليكون التشاور سنة في البشر»^{٢٤}

ومن ثم يتأكد أن الثوابت القرآنية في السيرة ليست مجرد فضائل أخلاقية وإنما هي مبادئ تؤسس الحياة الجماعية وتعد مرجعية أساسية للتربية والسياسة والاجتماع، غير أن الوقوف عند هذا المستوى الوصفي لا يكفي لبلوغ عمق النظر عند هذا العلم الزيتوني إذ يظل السؤال قائما: كيف أمكن لابن عاشور أن يتجاوز مجرد إثبات هذا الارتباط ليعيد قراءة السيرة بمنهج عقلي مقاصدي فيستخرج منها دلالات إصلاحية متجددة تلائم عصره؟

٢٣ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٤ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس) ص ١٤٥.

٢٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ١٥٠.

المبحث الثالث

الفكر المقاصدي والقراءة العقلية للسيرة عند ابن عاشور

١ - الفكر المقاصدي وعلاقته بالعقل في الحضارة العربية الإسلامية :

ظهر علم المقاصد في الحضارة العربية الإسلامية خطوة منهجية لإدراك الغايات العليا للشيعة وتجاوز المقاربة التقليدية لأصول الفقه* ٢٥ التي كانت تركّز في جوهرها على التفصيلات الجزئية للأحكام دون النظر إلى الحكمة العليا من تشريعها، فعلم المقاصد يعتني بدراسة الحكم التي من أجلها شرعت الأحكام الشرعية، وهو علم مرتبط بأصول الفقه والفقه معاً، وأمّا الفكر المقاصدي فهو الفكر المتشعب بمعاني الشريعة وأسسها اطلاعاً وفهماً واستيعاباً وهو الذي يفهم نصوص الشريعة ويفقه أحكامها في ضوء ما تقرّر من مقاصدها العامّة والخاصّة، ويمكن تتبّع جذور هذا العلم إلى القرن الخامس الهجري إذ برزت الحاجة إلى تأسيس إطار نظري يوازن بين النص الشرعي والعقل البشري بما يمكن الفقهاء من إستنباط الأحكام وفق مقاصد الدين ومصالح العباد، وقد أسّس الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) هذا التوجه بشكل منهجي في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة" معتبراً أنّ كلّ حكم شرعي لا بدّ أن يفهم في ضوء الغاية التي أنزل من أجلها وأنّ اجتهاد الفقيه يتطلّب الجمع بين العقل والنقل لتحديد المقاصد الكلية، وعدّ الشاطبي أنّ المقاصد الكلية هي القاعدة التي تقيّم بها التفصيلات الجزئية للأحكام بما يحقّق التوازن بين ثوابت الدين ومتغيّرات الحياة، ومن هذه النقطة يمكن القول إنّ الفكر المقاصدي يمثل جسراً بين النقل والعقل، بين الثابت الإلهي والمتغيّر الاجتماعي يقول الإمام الشاطبي في مقدّمة كتاب الموافقات: "لم أزل أقيّد من أوابده وأضّم من شوارده... معتمداً على الاستقراءات الكلية غير مقتصر على الأفراد الجزئية ومبيّناً أصولها النقليّة بأطراف من القضايا العقلية حسب ما أعطته الاستطاعة والمنة في بيان مقاصد الكتاب والسنة" ٢٦ .

٢٥ الجرجاني، التعريفات، ص ٣٢.

٢٦ الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١ (طبعة دار المعرفة)، ص ٢٣.

*أصول الفقه هو العلم الذي يدرس القواعد والمنهجيّات اللازمة لاستخراج الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية بما في ذلك القرآن والسنة والإجماع والقياس، بحيث يمكن الفقيه من الوصول إلى الحكم الشرعي بدقّة وموضوعية.

وقد تطوّر هذا الفكر المقاصدي لاحقاً بعد الشاطبي، وبرز فيه أعلام في العصر الحديث ومنهم ابن عاشور، فكيف استثمر هذا الأخير هذا التأصيل المقاصدي المنهجي في قراءة السيرة النبوية في ضوء التحليل العقلي والاجتهاد المعاصر؟

٢ - منهج ابن عاشور العقلي المقاصدي في قراءة السيرة :

ألّف ابن عاشور مصنفًا شديد الاختصار في السيرة النبويّة المطهّرة ويمكن أن نعتمده مثلاً دقيقاً ونموذجاً شامداً لاستجلاء بعض ملامح هذا المنهج العقلي المقاصدي في قراءته سيرة النبيّ محمد ﷺ، سمّى ابن عاشور هذا المصنّف "قصة المولد" وقد وثّق فيه أغلب ما يجب أن يُذكر ويُعلم بخصوص سيرة هذا النبيّ الكريم ﷺ من نسب ومولد ونشأة وبعثة وهجرة وغزوات وزواج وشمائل أخلاقية وغيرها، وتوخّى في هذا الكتاب سبيل الإيجاز والدقّة كما أكّد في مقدّمة هذا الكتاب أنّه قد تجنّب الأخبار الواهية وتلافى ما هو غير ثابت من الأخبار واقتصر على ما صحّ من الآثار، يقول ابن عاشور في هذه المقدّمة :

آثرت فيها جمع لمع كافية للذين تعلّقت قلوبهم بمحبّته وأخبار غير واهية الأساس ... إذ كان الله قد أغنى هذه الأمّة عن التّبّت بما ليس بمحبّجة الثبوت ... فإنّ هذا الدين ثريّ بما أمده الله من صحيح كثير عن أن يلفّق له شاعب كلّ مثلهم أو كسير»^{٢٧}.

إنّ ما جاء في هذه المقدّمة العاشورية ليكشف عن تناغم واضح مع المنهج العقلي في قراءة السيرة، فإعلانه أنّ كتابه خال من الأخبار الواهية يترجم حرصه على التخلّص من الروايات الغريبة والقصص المفتعلة والأحاديث الموضوعية التي علقت بتراث السيرة النبويّة وهو بذلك يضع معياراً عقلياً نقدياً يقوم على التمييز بين المقبول والمردود، ثم إنّ تأكّيده اعتماد الثابت من الآثار والصحيح من الأخبار يشي بأنّه يربط دراسة السيرة النبوية بميزان التحقيق العلمي الذي يستند إلى الدراية الحديثة والتمحيص التاريخي ولا ينساق وراء التسليم العاطفي، وإنّ هذا التوجّه العقلي يجعله امتداداً للمدرسة الإصلاحية التي رأت أنّ إعادة قراءة السيرة تقتضي تنقية مادّتها وفق ضوابط العلم والعقل معا، حتى تظلّ مصدراً للتربية والفكر المقاصدي، وهكذا يبرز منهجه

جامعا بين احترام النصوص الموثوقة وبين تشغيل النظر العقلي لترشيد قراءة السيرة وتحريرها من الخرافة، وهو في كتابة السيرة يتبع منهجا خلدونيا عقليا علميا دقيقا *^{٢٨} فقد اقتصر في كتابه على الوقائع المعقولة التي يقبلها العقل ولا تتنافى مع معايير الكونية كما تجنب الإطناب عند حديثه عن المعجزات التي نجد بعض المؤرخين للسيرة والقصاص يبالغون فيها مما يجعل كتاباتهم مليئة بأخبار لا تاريخية في كثير من الأحيان، ومما تجب الإشارة إليه في كتاب الشيخ ابن عاشور في السيرة النبوية أن المنزع المقاصدي لم يكن غائبا فيه من خلال تناوله بعض الأحداث والوقائع وفق ما تتضمنه من غايات وبما يساعد على حفظ الكليات الخمس المتمثلة في حفظ الدين والنفس والمال والعرض والعقل، ولأجل ذلك نلاحظ أن ابن عاشور لم يتق من السيرة إلا ما من شأنه أن يصلح السلوك ويهذب النفس ويسوي الاعتقاد ويعود بالنفع على الفرد والمجموعة فكان تركيزه جليا على الشرائع المحمدية قصد التأسي بها في حين كان حديثه عن الغزوات شديد الاقتصاب والاختصار^{٢٩} يقول ابن عاشور في سيرته النبوية عن شمائل هذا الرسول : « وكان ... أصفاهم سريرة وأحسنهم عفوا وأكثرهم صبرا وأسخاهم وأسمحهم وأشجعهم شديد الحياء إلا في الحق كثير الإغضاء عن الفلتات حسن المعاشرة رحيم بالناس رفيقا بهم ، أصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً»^{٣٠} إن عرض ابن عاشور لأخلاق الرسول الرفيعة لم يكن مجرد ثناء وسرد تاريخي بل كان إدراجا لها في صميم فكره المقاصدي حيث جعل من مكارم الأخلاق الدليل الأوضح على مقاصد الشريعة في تزكية النفوس وإصلاح العمران فالسيرة النبوية المباركة في نظره ليست حكاية فضائل بل هي برهان عملي على أن الأخلاق القرآنية هي الأساس الذي تقام عليه حياة الفرد والأمة ، كما أن الاقتداء بالنبي محمد ﷺ هو عين العمل بالمقاصد ذلك أنه ﷺ يجمع بين النص والواقع، بين الثابت القرآني والمصلحة الإنسانية.

٢٨ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ٢٠١.

٢٩ ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبوية قصة المولد، خلف الله نجم الدين (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)، ص ٢٣.

٣٠ السيرة النبوية قصة المولد، ص ٤٠-٤١.

* يبدو ابن عاشور معجبا بابن خلدون وبمنهجه العقلي وابتعاده عن مجرد رواية الأخبار واقتراجه الى الانصاف .

الخاتمة :

بعد هذه القراءة المتأنية في السيرة النبوية المباركة من خلال الثوابت القرآنية ومنهج ابن عاشور العقليّ المقاصديّ يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات :

إنّ السيرة حسب هذا العلم الزيتونيّ لم تكن مجرد سجلّ تاريخي حياة الرسول ﷺ وإنما هي الامتداد العمليّ لثوابت القرآن الكريم ومجال التجسيد الحيّ لمقاصد الشريعة فقد أبانت نصوص ابن عاشور في مصنفاته العديدة بأنّ السيرة تمثّل القدوة الملزمة للأمة وأنّ قراءتها في ضوء الثوابت القرآنية تردها إلى أصلها التشريعي والأخلاقي.

ومن خلال استقراء ما جاء في كتبه بخصوص السيرة النبوية نستخلص أنّ ابن عاشور قد جمع بين أمرين هامّين وخطيرين : تحقيق الرواية بإعمال النقد والتمحيص لتمييز الصحيح من الزائف علاوة على إعمال العقل المقاصديّ في فهم دلالات السيرة بحيث تتحوّل الوقائع الجزئية إلى إشارات كلّية تهدي الأمة إلى سبيل الإصلاح والتجديد، ويؤكد هذا المنهج أنّ الاقتداء بالنبيّ محمد ﷺ ليس تقليدا شكلياً بل هو التزام بمقاصد الوحي في الرحمة والعدل والتزكية والسخاء والشورى... وهي قيم تجسّدت في أخلاق النبيّ ﷺ وتجلّت في سيرته العطرة وللمسلمين في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. ومما يوصى به في خاتمة هذا البحث :

- ضرورة إحياء منهج ابن عاشور في قراءة السيرة بالجمع بين التحقيق العلميّ والنظر المقاصدي، حتى لا تبقى السيرة أسيرة طرح لا تاريخي خرافيّ أحياناً أو تهجّم من لدن منتقديها من المغرضين أو المشكّكين .
- توجيه الدراسات الشرعية إلى استخراج المقاصد الكلّية من السيرة وإبراز قيمتها الإصلاحية التي تخاطب حاجات المجتمع المعاصرة.
- اعتماد السيرة النبوية في المناهج التربوية والتعليمية لا بوصفها أحداثاً تاريخية بل باعتبارها نموذجاً حيّاً لتفعيل الثوابت القرآنية.

وبذلك يتّضح أنّ مشروع ابن عاشور في قراءة السيرة النبوية المباركة يظلّ من أهمّ النماذج التي جمعت بين الوفاء للأصول والقدرة على التجديد، وأنّ استلهاً هذا المشروع اليوم كفيل بإبراز السيرة النبوية منارة إصلاح تتجاوز الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

المصادر

القرآن الكريم

أبو إسحاق، الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١ (طبعة دار المعرفة)
الجرجاني، أبو الحسن، التعريفات (مطبعة دار الكتب العلميّة)
السلميّ، محمد بن صامل، مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط ١ (الرياض)
بن عاشور، محمد الطاهر، 'أصول النظام الاجتماعي الاسلام'

-----، 'أليس الصبح بقریب'

العزیز، شام محمد و الساحلي محمد، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري تونس ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م (المطبعة العصرية)

جغيم، ابن مبارك نعمان، فقه السنّة النبوية عند محمد الطاهر بن عاشور دراسة ضمن كتاب محمد الطاهر في عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية)
حمادو، نذير، منهج الإمام مالك في التعامل مع السنّة النبويّة دراسة أصوليّة حديثة (مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية)

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (دار سحنون للنشر)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢١ (دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢٨ (دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢٩ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

-----، التحرير والتنوير، ج ٤ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

-----، النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، ط ١ (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع)

ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط ٣ (الشركة التونسية للتوزيع)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)